إضاءة

صربيا والمشروع الصهيوني في مئة سنة

وعد بلفور ووباء التطبيع في البلقان

هذا العام، تعود ذكرى «وعد بلفور» على منطقة البلقان وقد انضم مزيدٌ من بلدانها إلى مسار التطبيع مع «إسرائيل». سياقٌ يستدعي علاقات بلغراد الرسمية مع الحركة الصهيونية المتفشية في مطلع القرن العشرين، وصولاً إلى «وعد بلفور» ومسارعة الحكومة الصربية إلى تأييده

محمد م. الأرناؤوط

تمرُّ الذكرى السنوية لوعد بلفور (الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر 1917) على البلقان هذه المرّة في ظروف مستجدّة تركت انعكاسها على «الثقافة السياسية» في المنطقة بعد «الاتفاق التاريخي» الذي تمّ التوقيع عليه في الرابع من أيلول/ سبتمبر المنصرم بالمكتب البيضاوي بين الرئيس الصربي ألكسندر فوتشيتش ورئيس الوزراء الكوسوفي عبد الله هوتي، في حضور الرئيس الأميركي (السابق) ترامب. وكان الجديد، أو المُفاجئ للبعض وخاصّة العرب، هو اعتراف «إسرائيل» باستقلال كوسوفو وافتتاحُ سفارة كوسوفية في القدس المحتلّة خلال الأسابيع القادمة، بينما تُرك لصربيا أن تقوم خلال الشهور المقبلة حتى يوليو/ تموز 2021 بنقل سفارتها من تل أبيب إلى القدس المحتلة.

ومع أنّ الأصل كان الكشف عن «اتفاق تاريخي» لنزاع صربي- ألباني ممتدّ منذ عقود، بل إنّ ترامب سوّق ذلك خلال حملته الانتخابية على أنه نهاية «نزاع استمر 400 سنة»، حتى يحصل على ترشيحٍ لجائزة نوبل للسلام، إلّا أنّ الاتفاق كان مفاجئاً بتجاوزه الأمور السياسية الجوهرية وتركيزه على الجوانب الاقتصادية، وتضمينه عدّة أمور لا علاقة لها بالنزاع (اعتبارُ «حزب الله» منظمة إرهابية، والانضمامُ إلى الدول التي تحارب معاداة المثلية، وافتتاحُ سفارتَين للدولتين في القدس المحتلة).

مع الكشف عن بنود الاتفاق، الذي كان يؤشّر لاقتراب صربي من الولايات المتّحدة على حساب العلاقات الوثيقة مع روسيا والصين، كان من الطبيعي أن يَحدث انقسام بين من يُعارض «الاتفاق المفاجئ» لأنه يأتي على حساب العلاقة التاريخية مع روسيا والعلاقة الاقتصادية مع الصين، وبين من يؤيّده باعتباره ينقل صربيا إلى الغرب، وبالتحديد يفتح لها الطريق إلى الولايات المتّحدة مع وعود غامضة بترتيبات معيّنة في المنطقة.

وإذا كان الطرفُ المعارض يركّز على ما جنته صربيا من العلاقة التاريخية مع روسيا، التي خاضت لأجلها عدّة حروب ضد الدولة العثمانية وحتى مشاركة قوّاتها في تحرير بلغراد من الاحتلال النازي في تشرين الأول/ أكتوبر 1944، فإنّ الطرف المؤيّد للاتفاق يُبشّر بفوائد هذا «الانعطاف التاريخي» للتقارب والتعاون الأوثق مع الولايات المتّحدة و«إسرائيل».

وفي هذا السياق، ومقابل معطيات الطرف الأول التي مثّلها أخيراً اعتذارُ الرئيس بوتين عن القدوم إلى بلغراد للمشاركة في الاحتفال التقليدي بتحرير بلغراد في الشهر الماضي، نجد أنّ الطرف الثاني يستدعي من التاريخ القريب علاقات بلغراد الرسمية مع الحركة الصهيونية الصاعدة في مطلع القرن العشرين وصولاً إلى وعد بلفور، ومسارعة الحكومة الصربية إلى تأييده، لتكون صربيا بذلك أوّل دولة في العالم تؤيّد هذا الوعد وتطالب بما هو أكثر من ذلك.

وفي الحقيقة، فإنّ ذلك يرتبط بشخصية يهودية صربية معروفة، هي دافيد ألبالا (1886 - 1942) الذي يُلاحَظ في حياته أنه كان جزءاً من النسيج اليهودي الصربي في بلغراد التي وُلد فيها. ولكن بعد ذهابه لدراسة الطب في فيينا عام 1903 تأثّر هناك بالحركة الصهيونية الناشئة وانضمّ إليها، ثم أسّس فرعاً لها في بلغراد بعد عودته في 1910، وأصبح من الشخصيات المؤيّدة للصهيونية بين يهود صربيا مقابل الاتجاه الآخر الذي كان يدعو إلى الاندماج.

مع اندلاع الحرب البلقانية (1912 - 1913)، انضمّ إلى الجيش كطبيب عسكري، وكذلك فعل خلال الحرب العالمية الأولى. ولكن مع انكسار صربيا أمام القوات النمساوية في 1915-1916، أقنع رئيس الوزراء الصربي بأن يُرسله إلى الولايات المتّحدة ضمن وفد حكومي للترويج للقضية الصربية هناك وجمع التبرُّعات للمجهود الحربي الصربي من خلال علاقاته مع زعماء اليهود في الولايات المتّحدة. وبالفعل، وصل ألبالا إلى الولايات المتّحدة في خريف 1917، حيث نجح في جمع تبرُّعات وقرض عسكري للحكومة الصربية. وفي غضون ذلك، كان اللورد بلفور قد أرسل إلى اللورد روتشيلد رسالته في الثاني والعشرين من شباط/ فبراير 1917. وسرعان ما أدرك ألبالا أهميّة اللحظة لكي تقوم الحكومة الصربية ببادرة ما تجاه اليهود أيضاً حتى تكون مهمّته ناجحة أكثر، وأن يكسب المزيد من الدعم اليهودي- الأميركي لصربيا خلال مؤتمر الصلح المتوقّع بعد نهاية الحرب العالمية الأولى. وبالفعل، تمّ ترتيب ذلك بأن يقوم الدبلوماسي الصربي المعروف ميلنكو فسنيتش، وزير الخارجية ورئيس الحكومة لاحقاً في يوغسلافيا التي تشكّلت في نهاية 1918، بإرسال رسالة يُعبّر فيها عن تأييد وعد بلفور، وما هو أكثر من ذلك:

«العزيز د. ألبالا،

أرغب في أن تنقل لإخوتك اليهود كلّ عواطف حكومتنا وشعبنا لكلّ ذلك الجهد العادل لإحياء بلدهم المحبوب في فلسطين، الذي سيمكّنهم أن يأخذوا مكانهم في المستقبل بين الأمم، وذلك بما ينسجم مع إمكانياتهم الكبيرة وحقّهم الذي لا يقبل الشك. ونحن متأكّدون من أنّ هذا لن يكون في صالحهم فقط، بل في صالح كل الإنسانية... ولا يوجد دولة في العالم تؤيّد هذه الخطّة (وعد بلفور) مثل صربيا.

إنّنا نأسف لأنّ مواطنينا اليهود سيتركون البلاد (صربيا) لكي يعودوا إلى الأرض الموعودة، ولكن نأمل في أن يبقوا إخوةً لنا وأن يُبقوا لنا مكانا في قلوبهم، وأن يكونوا بذلك أقوى صلة لنا بين إسرائيل الحرّة وصربيا».

ويُلاحَظ هنا في نص الرسالة، التي تحمل تاريخ السابع والعشرين من كانون الأوّل/ ديسمبر 1917، أي بعد عدّة أسابيع فقط من نشر وعد بلفور، أنّ الحكومة الصربية لم تكتف بتأييد الوعد البلفوري بـ«وطن قومي لليهود في فلسطين»، وإنما ذهبت أبعد من ذلك، لتُعبّر عن أملها في أن تقوم العلاقات قريباً بين «إسرائيل الحرّة وصربيا»، أي القفز فوراً إلى «الدولة المستقلّة» التي سمّاها باسمها (إسرائيل). وبهذا تكون صربيا بالفعل أوّل دولة في العالم تؤيّد رسمياً وعد بلفور قبل أن يتلاحق التأييد من الدول الأخرى مثل فرنسا وإيطاليا وهولندا وغيرها.

(كاتب وأكاديمي كوسوفي سوري)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> كانت صربيا أولَ دولة تؤيد وعد بلفور وتطالب بأكثر منه

> طبّعت كوسوفو مع الاحتلال الإسرائيلي الذي اعترَف باستقلالها

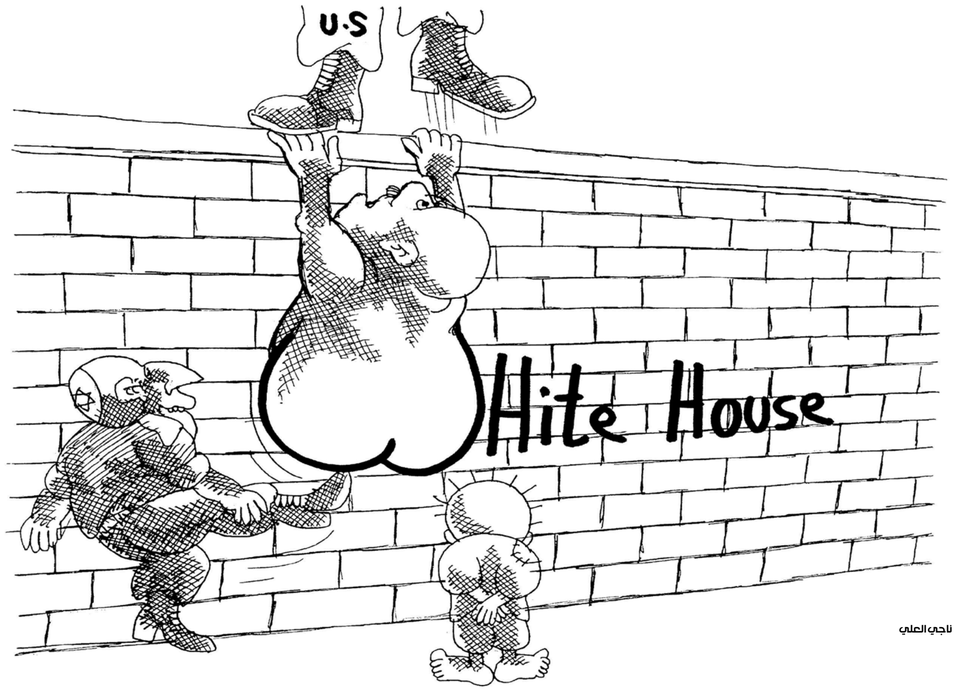

ناجي العلي

عالم استعماري

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، أرسلت بلغراد الصهيوني الصربي دفيد ألبالا (الصورة) ليمثلها في مؤتمر الصلح بباريس، الذي وُضعت فيه الأسس لعصبة الأمم والانتداب، وصولاً إلى سان ريمو عام 1920، حيث تقرّر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، «مع التزام تنفيذ وعد بلفور». وقد بقيت علاقة ألبالا وثيقةً مع المشروع الصهيوني في فلسطين التي زارها آخر مرّة في 1935 ليشارك في تدشين غابة زيتون باسم الملك ألكسندر قرب حيفا.

ندوة

بشار شموط بحثاً عن المرئي والمسموع الفلسطيني

رحلة في شتات الأرشيف

تناول الباحث الفلسطيني، في ندوة أقيمت مؤخّراً، رحلته في البحث عن المرئي والمسموع في تاريخ بلده، وهو ما وثّقه في كتاب له صدر حديثاً

بيروت ـ العربي الجديد

ضمن سلسلة محاضرات تنظمها «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» خلال الشهر الجاري تحت عنوان «الأرشيفات الفلسطينية الحيوية: الحفاظ على الثقافة والإرث الفلسطيني»، أقيمت مؤخراً ندوة حول كتاب «الإرث الفلسطيني المرئي والمسموع، نشأته وتشتته والحفاظ الرقمي عليه: دراسات أولية وتطلعات مستقبلية»، للباحث بشار شموط، حاوره أستاذ علم الاجتماع سليم تماري.

درس شموط الإنتاج الموسيقي في كلية الموسيقى ببرلين، أواخر الثمانينيات، واتجه إلى الأرشفة الرقمية المسموعة أولاً ثم المرئية، يقول: «سألت نفسي سؤالاً بسيطاً: العالم يحافظ على ذاكرته الجماعية والثقافية، لكننا كفلسطينيين نفتقر لهذه الإمكانية، لأن الإرث متشتت في العديد من الأرشيفات العالمية والعربية والإسرائيلية أيضاً، ومن ناحية أخرى فإن الرقمنة من منظور الأكاديميين والوصول إلى المعلومات عن طريق الإنترنت أصبحا حاجة ضرورية بالمنظور الفلسطيني، لأن الفلسطيني يصعب عليه الوصول إلى الأرشيفات الموجودة داخل فلسطين وأماكن أخرى من العالم».

بدأ شموط في البحث عن أمكنة وجود الأرشيف السمعي والمرئي الفلسطيني، ويذكر أنه وجد بمحض الصدفة مواد في غاية الأهمية، موضحاً: «واجهت مشكلتين أساسيتين؛ الأولى أن حرفة الأرشفة في العالم العربي ليست ناضجة بما فيه الكفاية، ففي المكتبات الأوروبية نجد مواد عمرها مئات السنوات، وهذا ليس موجوداً لدينا، المشكلة الثانية أن القاعدة القانونية شبه معدومة عربياً، لا يمكن العمل في الأرشفة من دون أرضية واضحة لقوانين الملكية الفكرية». يشير شموط إلى أن البحث الذي بدأه في الأرشيفات الأوروبية قاده إلى إرث ثمين من ذاكرة المرئي والمسموع التي لها علاقة بفلسطين، ويمكن الوصول لبعض الأرشيفات المفتوحة، وهناك مواد مغلق عليها في الأرشيف الفلسطيني، وأرشيفات اشتغلت عليها مؤسسات غير حكومية.

في الكتاب «حاولت تجميع الأفكار وتسليط الضوء على الإرث الفلسطيني، كيف نشأ، ثم كيف تشتت وكيف يمكن الوصول إلى هذه الأرشيفات عن طريق التقنيات الرقمية، ما هي بدايات التصوير الفوتوغرافي والتسجيل الموسيقي والأفلام والتصوير السينمائي في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت فلسطين رائدة في هذا المجال».

معظم أرشيفات التسجيلات الموسيقية موجودة في ألمانيا بحسب شموط، وبعضها يعود إلى مئة سنة، ويقف في المحاضرة عند بعض النماذج منها، ويسرد في الكتاب المجموعات التي عثر عليها ليفتح باباً للباحثين الآخرين. في مداخلته، قال سليم تماري إن شموط (ابن التشكيليّين تمام الأكحل وإسماعيل شموط) قام بعملية تنقيبية، ولفت إلى مفارقة في الكتاب، ففي حين يشير الباحث إلى غنى التراث المرئي والمسموع قبل 1948، يلفت أيضاً إلى بؤس ما وصل إلينا من هذا الإرث، درس مثلاً تسجيلات «بيضافون»، وأعاد إلى الذاكرة مغنّين لم نعد نسمع عنهم مثل رجب الأكحل وثرية قدورة.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

> في «المتحف الأنثولوجي» ببرلين عثر على أسطوانتين لرجب الأكحل

مقرئ في «إذاعة القدس» في الثلاثينيات

إطلالة

قصيدة النثر حالة رفض واعتراض

ليست خالصة للشعر

حين يدخل النثر في مخاض الشعر وولادته، فإن النص لا يبقى هنا مديحاً ولا تغنياً بالعالم والحياة. النص بهذا الازدواج أقرب إلى النفي والإنكار والاعتراض

عباس بيضون

عندما ظهرت قصيدة النثر لأول مرة في الأدب العربي، كان هذا قبل قصيدة التفعيلة. ظهرت كأثر مباشر للاتصال بالغرب. لا بد أن أمين الريحاني وبشر فارس وبعدهما البير أديب كانوا، في لبنان ومصر، حصيلة مباشرة لقراءة ويتمان والسريالية الفرنسية. مع ذلك، لم تخصب هذه القصيدة آنذاك في الشعر العربي ولم تصبح موجة، وتكسّرت على حاجز القصيدة الموروثة. كان على قصيدة النثر أن تنتظر حتى الخمسينيات ولتتواصل، هي وقصيدة التفعيلة، وتبنيان، كل لنفسها، مساراً خاصاً. مع ذلك، بقيت قصيدة النثر، حتى أيامنا، غريبة ومثار جدل دائم. خرجت قصيدة التفعيلة من معترك الجدل، وفرضت نفسها وريثة شرعية للقصيدة العربية، وقُبلت على هذا الأساس، في ما تبقى قصيدة النثر أمام سؤال يتناول وجودها وشرعيتها.

لعل محمد الماغوط هو الوحيد الذي نجا من هذا الجدل، وقُبل على مضض، فيما بقي الآخرون، جميعهم تقريباً، أمام إنكار معلن، ليس فقط من شعراء ونقاد، ولكن أيضاً من جمهرة واسعة من قرّاء للشعر. لا يقرّ هؤلاء بشرعية لقصيدة النثر ويعتبرونها، فضلاً عن ذلك، افتعالاً بحتاً وادعاءً فحسب. أما أنصار هذه القصيدة، وهم في العادة من أهلها، فيردّون هذا الإنكار بدعوى أن الشعر لا يقوم على الوزن، الذي طالما نُظمت به مطوّلات يتفق الجميع على عدم انتسابها إلى الشعر، ألفية بن مالك على سبيل المثال. وبدعوى أن الوزن والقافية قد يثقلان الشعر، وقد يربكانه ويسوقانه إلى ما ليس شعراً، بينما لا تواجه قصيدة النثر عقبات كهذه، إذ تخلص للشعر كما هو في مبدئه وجوهره، وتقوم فقط به.

ينسى هؤلاء في حومة الجدل كل هذا التاريخ للشعر الذي لم تعقه القافية ولا الوزن عن أن يمتلئ بجوهره، وعلى أن يؤسس، بالتجربة عمارات يُستدلّ منها على حقيقته وجوهره. ذلك الماضي الطويل الذي اتصلت به قصيدة الوزن، وهي القصيدة كما عُرفت وكما انتظمت، لا يمكن أن نحيط به كله، بدون أن نعرف، أننا من هنا، عرفنا الشعر وفهمنا مبدأه وجوهره. إذا كان همّ بعض شعراء قصيدة النثر وأنصارها، أن يثبتوا أن قصيدة النثر بديل للشعر في كليته، وأن فيها شعراً أكثر وأنقى مما في قصيدة الوزن، فإننا هكذا لا نجد أنفسنا على طريق واضح. إذا لم يكن الوزن معياراً، فإن قصيدة النثر تحمل في اسمها كلمة النثر، والنثر غير الشعر، ولذا لا يصح أن تكون بديلاً للشعر، ولا يمكن أن تكون وحدها القصيدة.

ليست قصيدة النثر كما يرى مؤرخوها جديدة. لقد نشأت أبكر من ذلك في كل الآداب، ومنها الأدب العربي، بيد أنها انتشرت وتحولت إلى نمط دارج في هذا العصر، أي أنها نمت في عصر لم يتغيّر فيه مفهوم الشعر وحده، بل تغيّر فيه مفهوم الأدب نفسه. مع كافكا والرواية الجديدة تغيّر مفهوم الرواية، ومع مسرح المعقول أو العبث تغيّر مفهوم المسرح. كان ذلك جزءاً من ثورة شملت الفن كلّه، لذا لا تقوم قصيدة النثر عياراً للشعر، بل هي بدون أن تنفك عنه، أحد تجلياته، بل يمكن أن نقول إنها نمط آخر له، بالدرجة التي يسعنا فيها القول بأن قصيدة النثر نمط قائم بذاته، بل هي نمط جديد في الأدب، وليست بالطبع بديلاً من قصيدة الوزن، كما أنها، كما يدل اسمها، ليست خالصة للشعر. إنها نمط آخر من الشعر يشترك فيه النثر، إنها النص الذي يتولّد من اجتماع الشعر والنثر وحلول بعضهما في بعض.

> نمط آخر يحوّل الاحتفال إلى مهزلة والغناء إلى تمتمة

يمكن القول إنّ الشعر، كما هو في قصيدة الوزن التي وحدها تختصّ بتسمية الشعر، كان في أصله غناءً ومديحاً. لعل المديح يمكن أن يُطلق، بعامّة على الشعر، إنه مديح العالم ومديح الحب، احتفال بالكون والحياة وليس هذا شأن النثر، بل ليس هذا شأن النثر إذا أضيف وأُخذ على كونه ركناً ثانياً لقصيدة النثر. حين يدخل النثر في مخاض الشعر وولادته، فإن النص لا يبقى هنا مديحاً ولا تغنياً بالعالم والحياة. النص بهذا الازدواج هو أقرب إلى السلب، بل هو سلبي تماماً. لن يعود هكذا تغنياً، بل سيصير اعتراضاً ورفضاً ونقداً. قصيدة النثر، على هذا، لم تعد احتفالاً، إنها، على غرار النثر سلبية. هي قصيدة نفي وإنكار واعتراض، إنها قصيدة اللامعقول وقصيدة العبث، وعلى هذا ليست بديلاً من القصيدة. إنها نمط آخر يحوّل الاحتفال إلى مهزلة والغناء إلى تمتمة.

(روائي وشاعر من لبنان)

بودلير في إحدى ضواحي باريس، 2015 (Getty)

فعاليات

ينظم غاليري **لمسات** في القاهرة معرضاً بعنوان **ملصق** لفنان الغرافيك **عبد العزيز الوصيفي**، حالياً وحتى نهاية الشهر الجاري. يقدّم المعرض مجموعة من الملصقات الفنية التي صممها الوصيفي، بعد عدة معارض قدمها في هذا السياق؛ من بينها «حرف قشرة» و«مونوكروم» و«منمنمات».

تحت عنوان **الإمبراطوريات ماضيا وحاضرا: فكرة الإمبراطورية**، يلقي الباحث الأكاديمي **أود ارني ويستاد** محاضرة افتراضية تنظمها **مؤسسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية**، عند السابعة من مساء الأربعاء، 11 من الشهر الجاري، يتناول فيها كيف حكمت الإمبراطوريات على مدى خمسة آلاف سنة الماضية بلا منازع، ثم كيف أضعفها التغيير الاقتصادي والحروب ويناقش مفهوم الإمبراطورية والمقاومة.

يلقي الروائي الفرنسي **جان زاغانياري**، محاضرة حول روايته **آدم بوفاري** في دار **أونز** في الدار البيضاء، عند السابعة من مساء 18 من الشهر الجاري، زاغانياري أحد مؤسسي «دائرة الأدب المعاصر» مع الكاتبين المغربيين مامون الحبابي وعبد الله بيضا، صدر له سابقاً «قلب مغربي»، و«كاتب موهوب» وغيرها.

بحفل موسيقي بعنوان **الطربوش - تحية إلى نصري شمس الدين** يستعيد **مترو المدينة** في بيروت أغاني الفنان اللبناني، عند التاسعة من مساء الخميس، 19 من الشهر الجاري، يشارك في الحفل زياد الأحمدية: عود وغناء، زياد جعفر: كمنجة وغناء، جورج الشيخ: ناي وغناء وبمشاركة الموسيقيين بهاء ضو وضياء حمزة.